# مبتور الساقين

غي دي موبسان ترجمة: أسماء بن مالك مراجعة : محمد قماري

وقائع هذه القصة جرت معي سنة 1882، في ذلك اليوم انزويت بنفسي في عربة قطار خالية من الركاب، وأغلقت باب العربة آملا أن أخلو بنفسي، وفجأة فتح الباب وسمعت أحدهم يقول لآخر:

- انتبه يا سيدي، فنحن على مستوى ملتقى السكك، ومرتقى القطار مرتفع جدا.

فأجابه الآخر:

- لا تخف يا لوران، فسأعتمد على مقبض باب القاطرة.

ثم أطلّ رأس مغطى بقبعة مستديرة، وظهرت يدان تعلق بهما سيران من جلد تربطان أكياسا تدلتا على جانبي باب القطار؛ مرفوعتان على جسم بدين تسمع لوقع أقدامه على مرقى العربة نقرا يشبه صوت عكاز ينقر الأرض.

وحين دخل الرجل بجسمه إلى مقصورة القطار، أبصرت في أسفل سرواله المتدلي رجلا خشبية قد صبغت بالأسود ثم تبعتها الرجل الأخرى، وكانت على حال الرجل الأولى. ومن خلف هذا المسافر أطلّ رأس رجل، راح يسأله:

- سيدي، هل أنت مرتاح؟

- نعم يا ولدي

- إذن، خذ هذه صناديقك وهذه عكازتيك، وهنا أبصرت خادما يصعد تبدو من سحنته أنه من قدماء الجنود، تقدم حاملا بين ذراعيه مجموعة من الأشياء ملفوفة بأوراق، بعضها أسود وبعضها أصفر، حتى إذا وضعها فوق مقعد الرجل في رف القطار الواحدة بجانب الأخرى، قال لسيده:

- هذا كل شيء سيدي، العلب الخمس هنا: الحلوى، والدمية، والطبل، والبندقية، وفطيرة الكبد الدسمة.

- أحسنت يا ولدي.

- سفرا ممتعًا، سيدي.

- شكرا (يا لوران)، وأنا أتمنى لك موفور الصحة.

غادر الخادم القطار بعد أن أغلق باب عربة القطار، وألقيت نظرة على جاري.

بدا لي في سن الخامسة والثلاثين،على الرغم من أن أغلب شعر رأسه اشتعل شيبًا، وكان حسن المظهر، غليظ الشارب، قوي البنية وافر اللحم، يبدو بدينا لكنها بدانة الرجال الناشطين الشداد، أعاقه عطبه على الحركة.

مسح جبينه، وتنهد، ورمقني بنظرة ثاقبة، ثم قال:

- سيدي، هل يزعجك دخان السجائر؟
- وأجبته: لا، سيدي.

تلك العينان، وذلك الصوت، وهذا الوجه، كلها ليست غريبة عني، لكن أين.. ومتى؟ مؤكداً أني قابلت هذا الشاب، تحادثت معه، صافحت يده يدي؛ ولكن من زمن، بعيد جدا، ذكرى تلاشت في ضباب كثيف، وكأن الفكر يحاول أن يتلمس ذكريات الماضي ويتبعها، كأنها الأطياف العابرة الهاربة.

هو أيضًا، كان يتفرس في وجهي بنظره، نظرة قوية ثاقبة، كحال رجل تذكر بعض الشيء لكن ليس على وجه اليقين.

كانت أعيننا تتحرج من هذا الإلحاح في تبادل النظرات، فنغض الطرف، ثم تعود الأعين بعد ثوان لتعاود الالتقاء من جديد؛ تنجذب بإلحاح مبهم وقوي من الذاكرة وهي تحاول استرجاع الذكريات، والتقت أعيننا من جديد، وابتدرته أنا قائلا:

- يا الله، سيدي: عوض أن نمضي ساعة، يسترق فيها كل منا النظر من صاحبه، ألا يحسن بنا أن نحاول معًا البحث عن مكان تعارفنا؟

فأجاب بلطف:

- أنت محق يا سيدي.

وهنا عرفته بنفسي:

- اسمي (هنري بونكلير)، قاض.

تردد بعض الوقت، ثم بنظرة وبنبرة صوت تائهتين، كتلك التي ترافق حالات الشدّ الذهني القوية:

- آه.. تذكرتك تمامًا، فقد صادفتك عند (البوانسل)، في ذلك الزمن، قبل الحرب كان ذلك منذ اثني عشر سنة خلت...

- نعم يا سيدي... آه... آه... وإذا فأنت الملازم (ريفاليير)؟

- نعم...بل لقد أصبحت الرائد (ريفاليير)، قبل أن تبتر ساقي الاثنين معًا، بفعل انفجار قنبلة.

وهنا نظر كل منا في وجه صاحبه من جديد، الآن وقد تعرف كل منا إلى صاحبه.

أتذكر تمامًا أني التقيت هذا الشاب الجميل الرشيق وهو يقود حلقة الرقص بلباقة عالية، أيامها كنا نطلق عليه اسم (قاهر الموت)، لكن وراء هذه الصورة التي أتذكرها جيدا، ما زالت تطفو بعض الأمور التي يلفها النسيان، قصة كنت أعرفها ونسيتها، ولكني لم أنس أنها قصة جذابة الحوادث مغرية على الرغم من قصرها...

لأن الحب لعب على مسرحها؛ أجد وقعها الخاص في عمق ذاكرتي، لاشيء غير ذلك، تماما كذلك الإحساس الذي يتسلل إلى أنف كلب وهو يتعقب آثار الأرنب على الأرض.

ثم أخذت ظلال النسيان تنحسر عن ذاكراتي شيئًا فشيئًا؛ والظلال يمحوها الضوء، وتطالعني صورة وجه فتاة، وإذا باسمها يرن في سمعي ويجري على لساني: الآنسة (ماندال).. إني أتذكر كل شيء الآن..

والحقيقة أنها كانت قصة حب عادية؛ تلك الفتاة كانت تحب هذا الشاب، حين التقيت به، وكان الناس يتحدثون عن زواجهما المنتظر القريب، لقد كان الفرح والسعادة الشديدة بادية عليه.

وهنا صوبت بصري إلى تلك الصناديق التي أحضرها مرافق رفيقي، وكانت تهتز وتضطرب مع حركة القطار، وقفز إلى ذهني صوت الخادم، كأنه أتم حديثه الآن، وهو يقول لسيده:

- هذا كل شيء سيدي، العلب الخمس هنا: الحلوى، والدمية، والطبل، والبندقية، وفطيرة الكبد الدسمة.

وفي لمح البصر، تألفت ومرت في خاطري رواية، تشبه ما كنت قرأته من قبل من روايات، في القصص أو رأيته في المسارح؛ وذلك إما أن يتزوج الخطيب ذو العاهة خطيبته السليمة أو لا. وإذن فإن هذا الضابط المبتور الساقين قد وجد خطيبته بعد الحرب فوهبت نفسها له رغم مصيبته بساقيه. تمثلت كل هذا جيدا في بساطة، ثم عرض لي فجأة افتراض آخر أشبه بالحق وأقرب إلى الواقع المنتظر أيكون الرجل قد تزوج من فتاته قبل الحرب وقبل الفاجعة الأليمة بساقيه؟ أتكون الصبية المسكينة احتسبت الله في مصيبتها فيه وخضعت لمشيئة القدر القاسي، فهي تستقبل مكرهة هذا الكسيح الذي غادرها ملء العين ملاحة وسلامة قبل الحرب، وآب إليها بساقين خشبيتين وجسم ناقص لا يتحرك إلا على عكازين. أتراه سعيدا أو متألما؟! وقامت في نفسي رغبة لا تقاوم في الاستعلام عن قصة زواجه والاستفسار على الأقل عن النقطة المهمة التي أستطيع أن أبصر على ضوئها ما يود هو إخفاءه عني أو ما لا يمكنه الإفضاء به. ورحت أكلمه بأحاديث شتى، بينما عيناي مثبتتان على الصرر الملفوفة التي وضعها خادمه على رف القطار ثم استنتجت من محتوياتها أن له امرأة وطفلين: أما السكر والملبس فهي لامرأته، وأما الدمية فلطفلته، وأما الطبل

والبندقية فلطفله، وأما الفطيرة الدسمة فله هو؛ وفجأة قلت له:

- لعلك أب لعائلة يا سيدي.
- كلا

فشعرت بشيء من الخجل والارتباك بسبب هذا السؤال، كأني ارتكبت ما لا يتفق وحسن العشرة. لهذا عقبت:

- معذرة يا سيدي لقد ظننت ذلك مما سبق إلى سمعي من قول خادمك وإشارته إلى هذه اللعب. وأنت تعلم أن المرء لا يملك أذنه حتى ولو لم يتعمد السمع. فافتر ثغره عن بسمة راضية ثم قال:

- وما قولك أني لست متزوجًا؟

وهنا بدت عليّ دلائل الاستذكار والتأمل؛ ثم قلت فجأة:

- أوه! إن ما تقوله الحق، فحين تعرفت بك كنت عاقدًا خطبتك على الآنسة ماندال فيما أظن؟

- نعم يا سيدي إن ذاكرتك جيدة جدا. فاجترأت وتابعت:

وأذكر أيضًا أني سمعت أن الآنسة ماندال خطيبتك تزوجت السيد... السيد.. فلفظ الضابط في سكون هذا الاسم:

- السيد فلوريل، أليس كذلك؟

- بلى هو بعينه؛ وأذكر أيضًا أني سمعت في ذلك الحين قصة فاجعتك، ونظرت إليه من جانب عيني فإذا بالدم يتدفق في وجهه أحمر قانيا، ثم إذا به يجيبني في حمية ونشاط مثل من يدافع عن قضية ضاعت له سابقا وفرط في حقه فيها وهو يريد الآن تبرير موقفه فقال:

- لقد كان من أعظم الخطأ بل والألم أن يذكروا أمامي اسم خطيبتي (ماندال) بعد إذ رجعت من الحرب بدون ساقين، ويا للأسف، لم يكن بوسعي أن أقبل دون ألم وتقريع ضمير أن تصبح (ماندال) امرأتي: أترى ذلك يكون ممكنا؟

حين يتزوج المرء يا صديقي لا يفعل ذلك كي يتباهى على الناس بامرأة جميلة فاتنة! إنما يفعل كي يعيش بجانبها ويتصل بها طوال الأيام والساعات والدقائق والثواني. فإذا كان الزوج مثلي كتلة شوهاء مبتورة فإنه بزواجه من فتاة ريانة الشباب يكون قد حكم عليها بالألم الممض وقسرها على حياته الناقصة المحطمة حتى الموت.

أنا أفهم وأقدر بل وأعجب بجميع التضحيات، ولكن حين يكون لها حدود تنتهي إليها، لهذا فأنا أستنكر من نفسي أن تحرم فتاة جميلة نفسها لأجلي من كل ما تهفو إليه جوارحها ونفسها من سعادة وملاذ وأحلام للصبا وللجسد أيضا، كل ذلك كي يقال عنها إنها عفيفة ظريفة كريمة، ثم كيف أطلب منها هذا وأنا نفسي حين أسمع على أرض الدار وقع عكازي وأنا أمشي وأخجل، أنا نفسي حين أسمع هذا الصوت الذي يشبه وقع أقدام البغال يجيش في نفسي الحنق فأود خنق خادمي، وهل تظن أنه يمكن أن يقبل الزوج من امرأة أن تتسامح في شيء هو نفسه لا يغتفره لنفسه، ثم أتعتقد وتتصور أن ساقي الخشبيتين هاتين جميلتان في النظر فاتنتان للعين؟ وسكَتَ وسكَتُ، وما عساي أن أجيبه؟ إن كلامه الصدق فهل بوسعي أن ألومه أو أخطئه، ثم سألته فجأة:

- هل لمدام فلوريل خطيبتك المتزوجة أولاد؟!

- نعم، طفلة وصبيان، ولهؤلاء الأطفال ما احمل من لعب في هذه الصرر كهدية، إنها وزوجها طيبان، وكان القطار في هذا الوقت يصعد ملتقى خطوط (سان جرمان) ثم يمضي تحت الأنفاق المتعاقبة في المحطة، ثم يقف، وعزمت على تقديم ذراعي تكأة للضابط الكسيح كي يستعين عليها في النزول من القطار لولا أن يدين امتدتا من باب القطار المغلق لمساعدته.

- نهارك سعيد يا ريفالبير، فأجاب صاحبي الضابط

- يسعد نهارك (يا فلوريل)، وقد كان خلف الرجل امرأته الجميلة تبتسم له أيضًا وهي ترسل التحيات الحارة المستورة بقفازين، وبجانبها طفلة صغيرة كانت تطفر من الفرح والابتهاج بلقاء صاحبي الضابط وبجانبها الآخر صبيان صغيران كانا يتناولان بشغف ونهم الطبل والبندقية وقد برزا من طرفي الصرر التي تسلمها أبوهما فلوريل.

وحين هبط الضابط إلى إفريز المحطة أسرع إليه الأطفال فعانقوه في محبة وألفة وشوق؛ ثم اتخذت العائلة طريقها إلى المنزل، وفي أثناء الطريق أخذت الطفلة تسند بكفها اللينة الغضة مسند عكاز الضابط الكسيح وقد فاض وجهها بماء الابتهاج والطيبة والمحبة البريئة.

**Guy DE MAUPASSANT: L'Invalide**